المجلة العلمية لكلية الآداب مج 11، ع 1 (2022)، 49 - 70
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

التراجم الأدبية عند "محمد رجب البيومي" المنهج والتطبيق

محمد محمود أحمد محمد المصري
باحث دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة دمياط.

المستخلص

تحفظ الأمة جهودها العلمية، وإنجازاتها الثقافية من خلال مجموعة من الكتابات المتعددة في علوم عصرها، ومن فنون هذه الكتابات ما سمي بكتب التراجم كحقل معرفي من حقول التاريخ الثقافي للمسلمين، إذ اتجه عدد كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم إلى تدوين السيرة الذاتية لآلاف العلماء الذين سبقوهم في أزمنة متعاقبة أو عاصروهم بمختلف تخصصاتهم العلمية واتجاهاتهم الفكرية مسلطة الضوء على مكانة صاحب الترجمة العلمية سواء تعلق الأمر بالمحدثين، والفقهاء، والمتصوفين، والأدباء وغيرهم ،إذ تشكل هذه المؤلفات إحدى المصادر التاريخية الأكثر أهمية. ويهدف البحث إلى بيان أهمية علم التراجم والسير في الأدب الحديث بنظرة عصرية مواكبة للتقدم والتطور السريع الذي يغشى جميع العلوم ومنها الأدب، وكذلك إظهار الأسس العامة التي بنى عليها الدكتور بيومي منهجه في التراجم والسير، مع بيان العوامل التي هيأت له ذلك، المحاولة للعمل على الامتداد، والتعمق الذي يعد بناءً تراكمياً في علم التراجم يضاف إلى ما هو قائم. وتناول البحث بناء على ذلك خطة مكونة من: مقدمة اشتملت على الهدف من البحث، والمنهج المتبع في البحث، مع بيان مشكلة الدراسة ثم قسمت البحث إلي مبحثين: المبحث الأول: اشتمل على تعريف علم التراجم، وأهميته ونشأته، وتطوره، والطرق التي يستقي منها الكاتب مادته في الترجمة، المبحث الثاني: أشرت فيه بإيجاز لحياة البيومي، ونشأته ثم تناولت منهجه في الترجمة الأدبية بطريقة فنية من حيث العاطفة، والأفكار، والأسلوب، واللغة النثرية وصولاً إلى التميز والتفرد في طريقة تناوله لسير وتراجم شخصياته، ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:
التراجم الأدبية ، محمد رجب البيومي

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: 20 سبتمبر 2021
تاريخ استلام النسخة النهائية: 17 أكتوبر 2021
تاريخ قبـــول المقالـــــة: 7 نوفمبر 2021

Scientific Journal of Faculty of Arts 11 (1) 2022, 49 - 70
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Literary translations of "Muhammad Rajab al-Bayoumi" method and application

Mohamed Mahmoud Ahmed Mohamed El-Masry
PhD student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Damietta University.

Abstract

I dealt with this research under the title based on a plan that contained an introduction that included the objective of the research, the approach followed in the research, with a statement of the study's problem, then the research was divided into two sections. Its importance, origin, development, and the ways in which the writer draws his material in translation. The second topic: I briefly mentioned in it Al-Bayoumi's life and its upbringing, then dealt with his approach to literary translation in an artistic way in terms of emotion, ideas, style, and prose language, leading to excellence and exclusivity in the way he dealt with the biographies and translations of his characters, then the conclusion that included the most important results, then the sources are proven and references

Keywords Literary translations, Muhammad, Rajab al-Bayoumi.

Article history:
Received 20 September 2021
Received in revised form 17 October 2021
Accepted 7 November 2021

1. المقدمة

تحفظ الأمة جهودها العلمية، وإنجازاتها الثقافية من خلال مجموعة من الكتابات المتعددة في علوم عصرها، ومن فنون هده الكتابات ما سمي بكتب التراجم كحقل معرفي من حقول التاريخ الثقافي للمسلمين، إذ اتجه عدد كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم إلى تدوين السيرة الذاتية لآلاف العلماء الذين سبقوهم في أزمنة متعاقبة أو عاصروهم بمختلف تخصصاتهم العلمية واتجاهاتهم الفكرية مسلطة الضوء على مكانة صاحب الترجمة العلمية سواء تعلق الأمر بالمحدثين، والفقهاء، والمتصوفين، والأدباء وغيرهم ،إذ تشكل هذه المؤلفات إحدى المصادر التاريخية الأكثر أهمية

2. أهداف البحث

- بيان أهمية علم التراجم والسير في الأدب الحديث بنظرة عصرية مواكبة للتقدم والتطور السريع الذي يغشى جميع العلوم ومنها الأدب.
- إظهار الأسس العامة التي بنى عليها الدكتور بيومي منهجه في التراجم والسير، مع بيان العوامل التي هيأت له ذلك.
- المحاولة للعمل على الامتداد، والتعمق الذي يعد بناءً تراكمياً في علم التراجم يضاف إلى ما هو قائم.

3. منهج البحث

تتعدد مواضيع البحث العلمي، وتتعدد طرق ومناهج بحثها، ويعد المنهج التحليلي أحد أهم المناهج التي تستخدم في البحث العلمي، فهو ذلك المنهج القائم على تحليل المعطيات، والمعلومات المختلفة، واستخلاص أهم ما بها من فائدة، وذلك من خلال العمليات المختلفة التي يتضمنها المنهج التحليلي .

ويعتبر المنهج التحليلي مناسبًا لدراسة بعض المواضيع المهمة أكثر من غيرها، وخاصة فيما يتعلق بدراسة الأدب وتحليل نصوصه، و ذلك لأنه منهج قائم على التحليل، والتفسير، والتركيب والتقويم والتقييم، والنقد، وتعد تلك العمليات المهمة هي الأكثر مناسبة لدراسة موضوعات الأدب المختلفة.

4. مشكلة الدراسة

الأدب العربي متنوع بفنونه من رسالة إلى مقالة إلى قصة أو مسرحية فهو كحديقة غناء توزعت على بساطها الأخضر الجميل ورود وأزهار عطرة تضفي على المكان بهجة وخيالا.

ومن بين الفنون التي عطرت ساحة الأدب العربي: التراجم والسير، وتراجم الإنسان قديمة قدم الإنسان نفسه ولا شك أنها ظهرت في الكتابة في الأمم التي عرفت الكتابة.

ومع هذه الأهمية لم يحظ علم التراجم الأدبية بالاهتمام الكافي لدي الكتاب في العصر الحديث، كذلك لم يحظ العلماء، والأدباء أصحاب المؤلفات في التراجم، والسير في العصر الحديث بحقهم الواجب من طلاب العلم كنوع من الوفاء للأعلام من أسلافنا، فكان هذا البحث جزءاً من هذا الوفاء، ومشاركة فيما هو قائم من الدراسات العلمية في علم التراجم والسير.

5. المبحث الأول

1- تعريف علم التراجم

علم التراجم هو "العلم الذي يعنى ببيان سير الأعلام عامة، وذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم".[1]

كما عرفه أيضا محمد عدنان كاتبي بالعلم الذي "يتناول سير حياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة، وهو علم دقيق يبحث في أحوال الشخصيات والأفراد من الناس، الذين تركوا آثاراً في المجتمع، ويتناول هذا العلم طبقات الناس كافة من الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والقادة والعلماء - في شتى المجالات - والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم، ويهتم بذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم فيها.[2]

2- النشأة

علم التراجم قديم قدم الإنسان، ومن أقدم ما وصلنا هو كتاب "العظماء: عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم" للمؤرخ والفيلسوف اليوناني "بلوتارك Plutarch " وكتابه أيضا "تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق" . لكن هذا العلم بلغ مع المسلمين مرحلة النضج والاكتمال، سيما أن ظهوره في الثقافة الإسلامية ارتبط بالرغبة في حماية الحديث النبوي الشريف من الكذب والتدليس والتلفيق، "فنشأ هذا العلم قاعدة في تلقّي الأخبار عن الناس، وبالأخص فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف

---

(1) إبراهيم بن حماد الريس، علم التراجم أهميته وفائدته. دراسة منشورة بموقع رياض العلم الإلكتروني: www.riyadhalelm.com

2() محمد عدنان كاتبي، علم التراجم ومكانته في حياتنا. دراسة منشورة بالموقع الإلكتروني: https://islamsyria.com

أولا، ومن ثم الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وباقي طبقات العلماء خصوصا والناس عموما.[1]

ومن هنا تُفسر تلك العناية اللافتة بهذا العلم، إذ إنه، من جهة، انخراط في سلك حماية الشريعة والذب عنها، خاصة أنه اعتنى بالحديث النبوي الشريف من حيث رواته، ومن جهة أخرى يعتبر هذا العلم، إن جاز التعبير، نوعا من الوفاء والمحبة لمن نذر عمره للدين القويم، خدمة وجهادا ودفاعا وعلما، والرجوع إلى مقدمات كتب التراجم سيؤكد ذلك. كل هذا جعل التفنن في هذا العلم عند المسلمين علامة فارقة عما عند سواهم.

3. أهمية علم التراجم

يعدّ علم التراجم عموماً فرعاً من فروع علم التاريخ، الذي يحتاج إليه العالم وطالب العلم على السواء إذ به يعرف المتأخرون أحوال من تقدمهم من الرجال والعلماء، وبه يُعرف وفاء المتأخرين لمن تقدمهم من أهل العلم والفضل، وقد اهتم علم التراجم بإنصاف العلماء، وإبراز القدوات للشباب، ولاشك في أن الأمم في حال أزماتها تحتاج إلى من تقتدي به، وتضعه نُصب عينها كنموذج في العطاء والجد، والبذل والتضحية والمثابرة. ... وتاريخنا الإسلامي، قديمًا وحديثًا، مليء بالأعلام في مختلف مجالات العطاء والبذل؛ عِلمًا وجهادًا ودعوةً وفكرًا.. وإن لم يأخذوا حقهم من حيث الدراسة، والتقدير، وتقديمهم كنماذج مشرفة للأجيال الناشئة؛ ليسيروا على خطاهم.. ومن هنا، تأتي أهمية دراسة التاريخ، خاصة هذا الفرع المهم منه والمسمَّى بـ" علم التراجم".

ويشار إلى أن علم التراجم كان يؤطر ضمن علم التاريخ يقول الجبرتي: "وفن التاريخ علم تندرج فيه علوم كثيرة؛ لولاه ما ثبتت أصولها، ولا تشعبت فروعها؛ منها طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة والتابعين، وطبقات المجتهدين وطبقات النحاة والحكماء والأطباء، وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأخبار المغازي وحكايات الصالحين، ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال، وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان، ومنها كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب".[2]

---

[1] محمد عدنان كاتبي، علم التراجم ومكانته في حياتنا. مرجع سابق

[2] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي. تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1997. الجزء الأول، ص: 5 .

وقد أسهمت التراجم في كتابة التاريخ الإسلامي منذ بدايته، واستطاعت أن تظفر بمكانة رفيعة.

كما رفدت التراجمُ التاريخَ بمادة ثرية تناولت كل جوانب الحياة واستوعبت كل أحداث التاريخ وشخصياته؛ لكثرتها، وشمولها فهي تقدم مادة وفيرة عن الحياة الثقافية و الفكرية، وترصد مسيرة الفكر في الدولة العربية الإسلامية. كما تكتسب كتب التراجم أهمية قصوى في عملية كتابة التاريخ، وذلك لما تختزله من أحداث، ووقائع في ثنايا تراجمها، وتكشف عن مجموعة من الحقائق، والتعمق فيها يساهم في دراسة مختلف التطورات الاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، والعلمية.

فضلا عن أنها تعكس التيارات العقلية أو الروحية التي أثرت في المجتمع العربي الإسلامي، لذلك فالتراجم أصدق صور التعبير التاريخي بحق.

4. نشأة فن التراجم والسير وتطوره

من المعلوم أن فن التراجم والسير فن عالمي معروف في جميع ثقافات العالم. وللعرب فيه إسهام كبير فقد أغرم العرب قديما بمعرفة الأنساب وتتبع أخبار الوجهاء والعظماء والملوك. فقد نشأ عندهم بفضل الحاجة وليس بفعل التأثر بالأمم الأخرى فتوسع رقعة الدولة الإسلامية والنهضة العلمية والأدبية مست جميع النواحي الفكرية، ولهذا كان لزاماً على الأمة العربية أن تؤرخ لأمجادها ومآثرها مما جعل الكتاب يهتمون بالسير والتراجم التي تسجل حيوات أعلام الأمة، وانصب اهتمامهم الأول على الدين الجديد بكل ما يحيط به من أحداث وأشخاص.

لا عجب في أن تستقطب الرسالة الخاتمة اهتمام العلماء فتصدى بعضهم لتفسير القرآن الكريم وبعضهم لاستنباط أصول الفقه وآخرون لرواية الحديث وبعضهم لمعرفة رواته، وهناك فئة من العلماء عكفت على تتبع حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت أول سيرة هي سيرة عبد الملك بن هشام المتوفي سنة 213ه المسماة(بسيرة الرسول) ثم تلتها سيرة ابن سعد المسماة (الطبقات الكبرى) وفي القرن الثالث الهجري ألف احد بن الداية سيرة (احمد بن طولون). وفي مطلع القرن الخامس الهجري صنف أبو النصر العتبى المتوفى سنة 420ه كتابا في سيرة السلطان محمود الغز نوي الذي نشر راية الإسلام في الهند سماه (اليميني) وفي القرن السادس الهجري وضع ابن الجوزي سير عدة عظماء مثل: عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز. وأحمد بن حنبل. –

وقد فاق اهتمام العرب بهذا الفن غيرهم من الأمم الأخرى. فقد ألفوا عن الشعراء والأدباء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والقضاة والنحاة والفلاسفة والأطباء. فكتب ابن قتيبة "الشعر والشعراء" ترجم فيه لنحو 206 شاعر ممن يعرفهم جُلُّ أهل الأدب ويقع الاحتجاج بأشعارهم في

النحو وغيره. وكتاب" طبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي وكتاب " الأغاني" للأصفهاني و"يتيمة الدهر" للثعالبي و"صبح الأعشى" للقلقشندي. وتختلف التراجم من حيث الطول والقصر لأسباب منها: ثقافة المترجم. وأهمية المترجم له وغزارة المادة المتصلة به. ف" ياقوت الحموي" ترجم في كتابه "معجم الأدباء" لحياة أسامة بن منقذ الأمير المجاهد في ستين صفحة وترجم للبعض الآخر في أسطر معدودة.

وقد دعا السخاوي في كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ " إلى تحري الموضوعية والبعد عن الهوى والتزام العدل والإنصاف. كما ألفوا في تاريخ وفيات الأعيان والمشاهير مثل "وفيات الأعيان" لابن خلكان، وهذه التراجم لا تسير على نمط واحد، فلكل مؤلف طريقته وأغلبهم رتب الأعلام حسب حروف المعجم .

وقد ازدهرت التراجم والسير من القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري .ثم عرفت مرحلة من الركود في عصر الضعف.

كانت السير والتراجم القديمة تفتقر إلى منهجية دقيقة، لكنها تتوفر على أهم شروط الكتابة التاريخية مثل: التزام الموضوعية في نقل الأخبار، والتقيد بالحقيقة تقيداً صارماً، والبعد عن الهوى ومعارضة الروايات بعضها ببعض، وقد كان كتاب التراجم والسير في بادئ الأمر يذكرون أسانيد أخبارهم ومصادرها، وفيما بعد أسقطوها مراعاة للاختصار، ووصلاً لحوادث التاريخ في العصر الحديث. ومع نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين ظهرت طائفة من الأدباء الأفذاذ حملت على عاتقها تطوير هذا الفن خاصة عندما وقع الاحتكاك مع الغرب وحدثت ثورة شاملة في شتى العلوم والفنون، فأخرجوه من دهاليز الانحطاط إلى نور الحداثة والتطور، فأصبح فنا راقيا يتجاوب وأذواق الناس ليس مجرد نقل للأخبار في غير تبويب ولا تنسيق.

في هذا العصر عادت التراجم، والسير القديمة تعرض من جديد في أشكال أنيقة مناسبة للعصر حيث عمد الأدباء إلى تحليل نفسيات العظماء والأعلام بحثا عن جوانب العظمة فيها بالاستعانة بعلم النفس، وعلم الاجتماع والتزام التسلسل التاريخي، وعرض الأخبار المتناقضة على التمحيص العلمي والمنطق، مالت اللغة إلى السهولة، والوضوح ولم تعد صعبة مستغلقه، وعادت السير والتراجم القديمة تبعث من جديد في حلل جديدة وأطباق شهية محللة وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة لتسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المترجم له . كما فعل "المازني" في كتابه" حصاد الهشيم" عندما حلل شخصية ابن الرومي والمتنبي وفق آخر نظريات علم النفس.

قد تجسد هذا الاتجاه في السير المؤلفة في الثلث الثاني من القرن العشرين، حيث كتب العقاد "عبقرية محمد"(صلى الله عليه وسلم) وعبقرية عمر بن الخطاب، وعبقرية خالد بن الوليد، وكتب طه حسين" على هامش السيرة" ومرآة الإسلام " الفتنة الكبرى"، حيث استمدوا حقائق التاريخ من المصادر القديمة والمراجع العتيقة، ونوعوا في عرض بضائعهم، وبينوا أثر البيئة في هذه الشخصيات وتأثيرها فيما يحيط بها، كما كتب ابن باديس" عبادة بن الصامت" وأبو ذر الغفاري" وهند بنت عتبة، بالإضافة إلى التراجم الغيرية، فقد كتب بعض الأدباء تراجمهم الذاتية مثل: أحمد أمين في كتابه "حيلتي"، وطه حسين في "الأيام" والعقاد في الكتاب الذي سماه "أنا".

الطرق التي يُستَقى بها أخبارُ الأعلام المراد ترجمتهم من ذلك:

- حديث الأعلام عن أنفسهم بأنفسهم، حيث يكون ذلك مبثوثا في بعض مذكراتهم، أو ما يكتبونه عن الأحداث المرتبطة بهم أو المواقف التي عرضت لهم، وقد يكون كل ذلك منقولا عنهم مشافهة أو مدونا في تصانيف غيرهم.
- ما كتب عن الأعلام من طرف أهله أو تلاميذه أو من مقربيه.
- ما نقل عنهم بسند من طلابهم ومعاصريهم.
- ما ورد عنهم من أخبار متفرقة في المصادر المختلفة.

6. المبحث الثاني

1. فن التراجم الأدبية عند محمد رجب البيومي

قد لا نجد كثيرًا من العلماء والباحثين من يتجاوز تخصصه العلمي الدقيق إلى تخصصات أخرى تتيح له رؤية أشمل، ومعرفة أعمق، وتناولاً أكثر رحابة للموضوع محل الدراسة.. وأيضًا، قد لا نجد كثيرًا من يتجاوز أسوار الجامعة، وطبيعة العمل الأكاديمي إلى آفاق الحياة الثقافية العامة، مشاركًا وموجّهًا وفاعلاً في التوعية والتثقيف والمناقشات التي تثري العقول وتنوّر الأفهام، وتجعل الثقافة والفكر والأدب موضوعًا للتناول العام، وليس للدرس المتخصص فحسب.. ومن هؤلاء وأولئك الدكتور محمد رجب البيومي، الأديب المصري، ورئيس تحرير مجلة "الأزهر" الأسبق، الذي مرَّت علينا منذ أيام ذكرى وفاته العاشرة؛ فقد كان- رحمه الله- متنوع العطاء في ميادين مختلفة من الأدب والبلاغة والفكر والشعر والقصة والتاريخ وقصص الأطفال؛ بجانب تضلعه من العلوم الإسلامية؛ مع إسهاماته الثرية في الحياة الثقافية على مدى أكثر من نصف قرن، عبر كبريات المجلات والصحف؛ مثل "الرسالة"، والثقافة" والهلال" والأدب الإسلامي"، ومجلة "الأزهر" بطبيعة الحال،

التي عرفته كاتبًا بارزًا من كُتابها، قبل أن يتولى رئاسة تحريرها. وُلد الأديب والكاتب الموسوعي عام 1923 بمدينة المنزلة بمحافظة الدقهلية بمصر، وتخرج في الأزهر ونال "العالِمية" من كلية اللغة العربيّة بـالقاهرة عام 1949، والدكتوراه" في الأدب والنقد عام 1967. ثم تولى عمادة كلية اللغة العربية بالمنصورة، وكان أستاذًا متفرغًا للأدب والنقد بجامعة الأزهر. وتُوفي، رحمه الله، يوم السبت 2 ربيع الأول 1432هـ، الموافق 5 فبراير 2011م، عن ٨٨ عامًا. ودُفن عصرًا في قريته "الكفر الجديد" بالدقهلية [1]. حياة من العطاء، وقد أُتيح لأديبنا الكبير أن يتعرف عن قرب على رجالات الفكر والأدب في مصر وعدد من الدول العربية، وعُرف بتلمذته المباشرة للأديب الكبير زكي مبارك، وللعلامة محمد فريد وجدي، وللكاتب الكبير محب الدين الخطيب ؛ مما جعله جديرًا بأن يؤرخ للنهضة الإسلامية في العصر الحديث، في عمل ضخم توزع على ستة مجلدات، وشكَّل إسهامَه الأدبي والفكري الأكبر الذي عُرف به. ولأن أديبنا الراحل عرف الإبداع شعرًا ونثرًا وقصة، فقد تميزت كتاباته بأسلوب أدبي رائق؛ حتى لترى نثره يفيض شاعرية، وكتاباته تتوهج إبداعًا.. ترك الدكتور البيومي عدة مؤلفات تشهد بموسوعيته وتعدُّدِ مجالات إسهاماته، وأربعة دواوين شعرية (صدى الأيام. حنين الليالي. حصاد الدمع. من نبع القرآن)؛ فضلاً عن مئات المقالات بالمجلات والصحف لما يزيد على نصف قرن، كما أشرنا. ومن أبرز مؤلفاته: البيان القرآني. خطوات التفسير البياني. البيان النبوي. أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين. الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير. النقد الأدبي للشعر الجاهلي. الأزهر بين السياسة وحرية الفكر. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٦ أجزاء). محمد فريد وجدي- الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي. مصطفى صادق الرافعي- فارس القلم تحت راية القرآن. أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد. تأريخ النهضة الإسلامية يأتي كتاب الدكتور البيومي: (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) ليشكِّل حجر الزاوية في منجزه الثري؛ وقد كتب هذا التاريخ إدراكًا منه لحاجة الأجيال الناشئة إلى قدوات تسير على دربهم.. ووعيًا منه بضرورة إنصاف هؤلاء الأعلام ومعرفة قدرهم، لاسيما أن كثيرًا منهم تجري بحقهم محاولات تعمية مقصودة؛ نظرًا لِمَا كانوا ينتهجونه من آراء ومبادئ غير مرحَّب بها ممن يعادي أصالة الأمة

[1]() أفدت في هذه الترجمة مما ورد بعنوان: "المؤلف في سطور" في آخر كتاب د. البيومي: (من منطلق إسلامي)، الجزء الأول، المؤسسة العربية الحديثة. إضافة إلى ما كُتب عنه بموقع "رابطة أدباء الشام"، والموسوعة الحرة "ويكيبيديا".

وذاتيتها، ويريد لها طريق العوج الفكري والاغتراب في الهوية والانتماء. ولا يفوتنا أن نلاحظ أن الأعلام الذين احتفى بهم أديبنا الكبير، قد تعددت مجالاتهم الفكرية والأدبية، ما بين شاعر وأديب ومفكر وفيلسوف ومؤرخ وفقيه ومحدِّث ومفسِّر وداعية ومصلح.. إلى غير ذلك من مختلف التخصصات العلمية والعملية؛ ومع ذلك تجد البيومي قد أجاد في التعريف بكل عَلم من هؤلاء، وربما التعقيب على بعض آرائه، كأنه- أي البيومي- قد تخصص في مجال الشخصية المترجَم لها؛ مما يدل كما نوهنا على موسوعية فكره وثراء قلمه. وقد حرص البيومي في تاريخه لأعلام النهضة، على ألا يقدم لنا سِيَرهم الذاتية في ثوب مَدْرسي يهتم بالتسلسل الزمني، من الميلاد والنشأة والدراسة والحياة العملية ثم الوفاة، وبأسلوب جاف يزدحم بالأرقام والتواريخ..

2. منهج البيومي في تناول التراجم الأدبية

عَمِلَ البيومي على تقديم سير وتراجم شخصياته من خلال أساليب فكرية حيّة، يمتزج فيها الأدب بالتاريخ، والمعرفة المباشرة من اللقاءات والذكريات بما دُوّن ونُقل في كتاباتهم، وكتابات الآخرين عنهم، مع اهتمام بالغ بجوهر الإسهام الفكري والعملي الذي حفر لهذه الشخصية أو تلك مكانًا بارزًا في سجل نهضتنا الإسلامية المعاصرة. يقول رحمه الله: "هذه النهضة النشيطة في حاجة ماسّة إلى مَن يَفِيها حقها من الدراسة والتقييم. وقد اخترت أن أتحدث عنها في ظلال أبطالها من أئمة المسلمين، لا لأترجم لحياة هؤلاء الأبطال، فما أقصر همّة تتّجه إلى رصد سنوات الميلاد والرحلة والوظائف والوفاة، إذا جعلت ذلك غاية جهدها المدوّن بين السطور؛ ولكن الحديث المثمر هو الذي يكشف عن أعمال المصلح، ويفسّر دوافعه الذاتية، ويقدّر جهاده الدائب فيما اعترضه من صعاب؛ وإذ ذاك يتّسع المجال للحكم العادل من المؤلِّف، والاطمئنان الواعي من القارئ الحصيف" [1].

يضيف: "وإذا كان هناك من يؤرّخون للنهضات في ظلال مُثُلِها المرموقة، واتجاهاتها الهادفة؛ فإن تأريخ هذه النهضات من حديث أبطالها يقدّم الوجه الثاني من هذا التاريخ، وهو لون يجد الترحيب من قرائه، إذ يتخلله من المتعة العقلية والنفسية ما يساعد على استيعابه وتمثيله، خاصة إذا كان العاملون تحت راية الإسلام لا يجدون التقدير المنصف من رجال الإعلام في دنيا الصحافة والإذاعة على أوسع نطاق يجذب أنظار الجماهير! وهو إهمال تبحث عن دوافعه الأليمة فيلفحك شرار الغضب،

[1]() النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، البيومي، 1/ 5، دار القلم- الدار الشامية، ط1، 1995م.

وخاصة حين تجد الترويج الرخيص لأناس لم يبلغوا مِعشار ما بلغه هؤلاء المكافحون؛ ولكن الغرض يعمي ويصمّ، فلا أقل من أن يقوم تلاميذ هؤلاء المستشهدين في حومة الإصلاح الديني بحقهم الأكيد في الاحتفال والتنويه"[1] ولا يتسع المقام لنذكر من ترجم لهم "البيومي" في عمله الموسوعي هذا، وإنما يكفي أن نشير إلى أنه قد طوَّف بنا في رحاب شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال، والفقيه البارز محمد أبو زهرة، والداعية الكبير محمد الغزالي، وأعلام الأدب والفكر والإصلاح: العقاد، والزيات، وهيكل، والرافعي، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان، والمرصفي وابن باديس، والمودودي، والخضر حسين، وعبد العزيز جاويش، وعبد الوهاب عزام، وغيرهم.. معارك الفكر والأدب يتميز أديبنا الكبير، رحمه الله، باطلاعه العميق على المعارك الفكرية والأدبية، خاصة التي شغلت النصف الأول من القرن العشرين، وكان مطلعًا على خفاياها اطلاع الخبير.. وهذا جانب مهم من حياتنا الثقافية؛ لأنه يطلعنا على الطريقة التي شكّلت العقول ووجّهت الأفكار، وشاركت في صياغة الواقع الفعلي.. ود. البيومي ينطلق في رؤيته للأشخاص والأحداث من التمسك بالهوية والانتماء للأمة والحفاظ على تراثها وشخصيتها، ودون أن يدفعه ذلك لاعتساف الرأي أو التجاوز في النقد

لقد أخذت الترجمة الأدبية عن الدكتور بيومي قطاعاً كبيراً من أعماله؛ وذلك لأنه كان يري أن الترجمة لأبطال الإسلام وعلمائه هي دعوة للاقتداء بهم وإنشاء جيل يسير على نهج أسلافه؛ ليجعل هذا الدين تاجاً على رؤوس العالمين، لذا كانت ترجماته مع تنوعيها وتقسيمها إلي دراسة تهتم بتوضيح لعلماء الإسلام في القديم والحديث أو تصوير لأبطال المعارك الإسلامية من الداخل والخارج مع تتبع لحياتهم وشجاعتهم أو دراسات لشخصيات أدبية كانت منبثقة من عاطفة متقدة متأججة غيورة على كل ما هو إسلامي نلمح ذلك من وصفه العميق الهادر لشخصياته وثورته العاطفية وهو يتحدث عن جهادهم بالعلم أو القلم أو حتي السيف ، فعند حديثه عن " عبد الرشيد إبراهيم داعية الإسلام في آسيا، نجده يقول: " من الناس من تقرأ حياتهم فتخالهم أسطورة خرافية لما حوت من غرائب الشجاعة وعجائب الجهاد بما يتعذر في العادة أن يقوم به فرد واحد ولولا أنهم رؤوا بالعين وسمعوا بالأذن وألفوا بالقلم وخطبوا باللسان لقال القائلون ان وجودهم مستحيل .

كما نري عاطفة كاتبنا المتدفقة المستمرة حين يصف شخصية بوصف بياني رائع حيث يقول: " فإذا ذهب المصلي إلي مسجد الإسلام

[1]() المصدر نفسه، 1/ 5، 6.

بطوكيو عجب حين يري الرجل الأسطورة في الخامسة والتسعين من عمره ينهض قبل شروق الفجر فيقيم صلاة التهجد، ثم يؤم الناس في صلاة الصبح ولا يكاد يفرغ من تسبيحه حتي يتحلق عليه جماعة من حواريه؛ ليشرح لهم سور القرآن وأحاديث الرسول، فإذا أشرقت الشمس انتقل إلي حجرة الدراسة الملحقة بالمسجد ليجد نفراً من صبيان المسلمين يستقبلونه فيقوم لهم بدور المعلم "

لقد غلبت العاطفة الصادقة على أسلوب الكاتب وأفكاره ومعانيه - رحمه الله-، تمثلت كذلك في مشاعره الإنسانية الأخلاقية، حيث بدت تلك العاطفة في دفاعه عن المنفلوطي حيث يقول:" ولكن الجانب الإسلامي من نتاج المنفلوطي لم يسلط عليه الضوء المشرق، وهو يعد من أبرز الجوانب في نتاجه، بل إن المنفلوطي ما كتب روائعه الخالدة إلا وروح الإسلام تخفق في حناياه، وتتألق في عينيه " .

فعاطفة الرجل نبيلة محبة للخير والصلاح فيها من السمو ما يجعلها في ضياء الشمس وصفاء البدر. ففي قوله عن المنفلوطي وهو يحدثنا عن المرأة يقول: " وفي حديث المنفلوطي عن المرأة نجده رحيما بها كل الرحمة حريصا على هدوء البيت واستقراره الأمني".[1]

ونراه يكرم المرأة أيما تكريم حين يعلن أن الحياة مسرات ونحن ندين بمسراتنا للمرأة؛ لأنها مصدرها وينبوعها الذي تتدفق منه ".

كما أن عاطفته عاطفة إعجاب وإجلال نرى ذلك حين يترجم للإمام عبد الحليم محمود" لا يفارقك وأنت في مجلس الإمام: عبد الحليم محمود – إحساسك أنك مع إنسان يعرف ربه، وأنه بهذه المعرفة الحقيقية قد ارتفع إلي مستوي وضيء، فأنت معه في مكان واحد ولكن شعورك يدعوك إلي أن تري أنه في السماء وأنك في الأرض " وهكذا كانت عاطفة الدكتور بيومي – رحمه الله – سابقة لكلماته متدفقة بين معانيه حتي أن القارئ يشعر بها في حنايا نفسه مستمرة دائمة تلمس من شغاف قلبه أروع وأنبل معاني الصدق والشعور.

أما بالنسبة لأفكار د. بيومي في تناوله للتراجم فإنها أفكار واقعية مستمدة من الواقع والتجربة قد مزج فيها بين ذاتيته وموضوعية أحكامه، فنري أن أفكاره تكاد تتضح لنا في كثير من عناوينه، وسرعان ما تحيط بنا أفكاره واضحة جلية في فقرات موضوعه بما لها من تألق وحيوية وجدة.

---

[1]() النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، محمد رجب البيومي ، ص171

فالأفكار في تراجمه تميل إلى عرض أهم أعمال شخصياته وتأثيرها في المجتمع وتأثرها ونتائج ذلك من علم ومعرفة ودين، كذلك في دفاعه عن كثير مما علق ببعض شخصياته من نقد وهدم أو افتراء وادعاء.
كما أن أفكاره تعتمد على الكليات حيناً وعلى الجزئيات أحياناً، وذلك حسبما يقتضيه موضوعه، فنجده وهو يحدثنا عن ترجمة " مجزأة بن ثور السدوسي يقول: " إن أفكاره متسلسلة فبدأها بحوار دار بين الشاعر عمران ابن حطان وزوجته ثم بدا الكاتب متسائلا فمن هو مجزأة بن ثور ".
"ثم عرض نماذج من بطولة شخصيته الخارقة، وتفاعلها مع الأحداث ثم موقف الاستشهاد في سبيل الله ، وما تلاه من رثاء وحزن من أمير الجيش وأمير المؤمنين، هذه الأفكار عرضها الكاتب عرضًا تصويريًا للواقع البعيد عن المبالغة، والتعميم، فقد حرص على الدقة، فيقول: " نلتمس مواقف البطل في عهد الرسول، فنجد أنه تشرف بالإسلام متأخراً ثم تفاجئنا روائعه في حروب فارس".[1]

وكما أوضحنا من قبل فإن د/ بيومي استطاع ببراعة أن يمزج في أفكاره دائماً بين الطابع العاطفي والطابع العقلي؛ حتي لا تكون عواطفه مترنحة بغير عقل أو تكون أفكاره جافة قاسية بغير قلب .
فيقول: " وقد اعتز مجزأة بثقة الفاروق فصمم على أن يبذل دمه في سبيل الله وصارح أبا موسي بأنه جاء للاستشهاد مصمما عليه " .
كما اتصفت أفكاره بالعمق وذلك أنه في كثير من تراجمه يصل بأفكاره إلى أقاصي الموضوع والعمل على تقديم التفسير الصحيح.
يبدو ذلك من مناقشته ورده على منتقدي المنفلوطي – رحمه الله – حيث يقول: " إن إعصاراً نقديا هب على هذه الروايات – يقصد روايات المنفلوطي – يحاول أن يزيلها عن مستقرها الحصين بدعوى أن الرجل قد ترجم له الأثر الغربي ثم اقتبس منه مضيفًا إليه من ذات نفسه ما باعد بينه وبين الأصل " ثم يرد على هذا التقول فيقول: " والحق أن المنفلوطي قد فعل ذلك حين أظهر الترجمة من ثوب جديد يشف عنه أكثر مما يشفي عن صاحب الرواية الأوروبي".
ثم يقول موضحا: " ولكننا ننظر إلى مجدولين، والفضيلة والشاعر وفي سبيل التاج، والعبرات ككتب ذات قصص اشترك في تأليفها رجلان أحدهما غربي والآخر شرقي ... ننظر إلى الرواية في وضعها الجديد

[1]() مجلة منبر الإسلام العدد (3) ربيع الأول 1425 ، مايو 2004 ، مقال بعنوان " مجزأة بن ثور السدوسي، ص 74 .

ولتكن الروايات في نسقها المنفلوطي ولكن بعدها الواضح لم يضائل من بريقها الإنساني الخلاب".[1]

فأفكاره أتت متراسلة متسلسلة عميقة مقنعة فبدت أفكار د/ بيومي أفكارًا إصلاحية؛ لأنها تحمل الدعوة إلى التغيير عن طريق الإقناع الهادي يبدو ذلك في رده على طه حسين عندما أصر طه حسين على أن المسرحية لا يمكن أن تتحول إلى قصة كما فعل المنفلوطي وعد ذلك تشويها ونسخا يقترفه الأدعياء.

يقول بيومي:" ثم مرت الأيام ورأينا طه حسين نفسه يختار مسرحيات فرنسية؛ ليلخصها قصصا على صفحات مجلة الطلاب ثم يعمد إلي جمعها تحت عنوان" صوت باريس"" لحظات " والحق أن مجموعتي طه حسين لم تكرر طبيعتها ولم تجد معشار ما وجدته قصص المنفلوطي من إقبال".[2]

هذه الأفكار التي توفر فيها الواقعية والدقة وغلب عليها الطابع العقلي الممزوج بالعاطفة الجياشة التي بدت في معظمها عميقة إصلاحية ايجابية، جعلت من المعاني واضحة بعيدة عن الغموض، والتعميم.

وعلى الرغم من أن البيومي يكتب تراجمه وسيره بواقعية، وموضوعية يسطر عليها العقل بعيداً عن المبالغة الممقوتة الخارجة عن حدود الموضوعية إلا أننا نجد أنه استعمل حسه الأدبي والبلاغي أثناء كتاباته فأتى عرضه محملاً بالخيال الراقي، والتصوير المثير للمشاعر فيتمثل هذا الخيال في مملكة التصور، والتصوير مما يعكس الصورة الأدبية التي تدعم المعاني وتوضحها.

يقول أحمد أمين في " فيض الخاطر": "المترجم واصف لمن يترجمه، والواصف ينبغي أن يُخرج بقلمه ولغته ما يخرجه الرسام بريشته، بل للقلم مجال أوسع من الريشة، فالقلم يستطيع أن يتغلغل إلى المعنويات من أخلاق وعقلية ومشاعر وصفات نفسية، على حين أن الريشة لا تستطيع أن تصل إلى شيء كثير من ذلك؛ نعم إن القلم يلاقي من الصعوبة ما لا تجده الريشة، فإن الريشة مرنة مطواع أمامها ماديات ذات مقاييس خاصة ونِسَبٍ معينة يسهل على المصور أن يراعيها، ولكن الكاتب يعاني بقلمه في إخراج الصورة كاملة منسقة أكبر العناء. يجب أن يكون الواصف من دقة الحس ويقظة العقل وحسن التقدير لما يهم وما لا يهم ولطف الذوق والقدرة على الإبانة بحيث يستطيع أن يصف لك الشخص الموصوف كأنك تراه، بل أكثر من أن تراه؛ فهو يريك من

[1]() النهضة الإسلامية في سير إعلامها المعاصرين، ج2 ط الأولي، ص 174

[2]() السابق، ج 2، ص 176.

المعنويات ما لا يرى، تريك الصورةُ الشيء دفعة واحدة، فتستطيع أن ترى النسب بين أجزائها، وتدرك الجمال التركيبي كما تدرك الجمال الإرادي، والكاتب الماهر يسلسل بين أقواله ويجَمِّلها بالمنطق الصحيح والأسلوب الأخّاذ، فيسرق منك نفسك، فلا تنتبه إلا وقد وعيت صورة الموصوف كاملة. يرى الواصف الشخص فيدرسه ويخبره ثم يدرسه ويخبره ويجمع حوله كل ما يهمه، ويمحصه، حتى إذا اجتمعت له في ذهنه صورة كاملة متناسقة تؤلف وحدة استطاع أن يبرزها بقلمه فيشرك غيره في رؤية ما يرى. فإن كان الواصف لم يدرك أصل الموصوف جمع أخباره وحوادثه وقصصه وامتحنها بكل ما اخترع «البحث» من وسائل للامتحان، ثم كان شأنه معها شأن سابقها"[1].

كان معظم الخيال في تراجم بيومي قائمًا على الصورة الوصفية التي لا تنطوي على تشبيه ولا استعارة إنما كانت عبارة عن مجموعة أشياء حسية موصوفة حركاتها وسكناتها وأشكالها حتى شكلت مشهداً متكاملاً واقعيا مثيراً للخيال لدي القارئ فيقول في ترجمته للإمام أحمد بن حنبل:" يكفي أن تمد يديك إلى آثار أحمد، وأن تدرسها دراسة فاحصة فستعلم مذهبه العلمي، وتستشف عناصر تكوينه وروافد فقهه! ثم تضعه في مكانه الطبيعي بين أرباب المذاهب والتأليف"[2] وحين يصف الإمام أحمد فيقول متسائلا: " هل كان يدري هذا الفتي المناضل الذي يحمل أوراقه مختلفاً إلى مساجد بغداد وفي مشيته تؤدة واطمئنان، وعلى محياه جد اهتمام، أنه سيصبح ملء السمع والبصر بعد أمد قد يطول؟ وهل كان يدري قرناؤه ولداته أنهم يحفون بطالب علم ذي مستقبل مرموق تنتظره الخطوة العالية، وترتقبه الشهرة اللامعة، ليصبح فيما بعد نجما ساطعا متألق الأضواء؟ ذلكم هو الفتي أحمد بن حنبل الشيباني الفقيه المحدث الحجة العظيم.

فنرى من وصفه وتصويره الشيء الكثير الذي يطبع في ذهن قارئه خيالاً يسري بلبه عبر مساحات من الزمن ليتراءى له عصر وبيئة وحياة الإمام أحمد كذلك نرى براعة خيال د/ بيومي حين يترجم لـ " محب الدين الخطيب " فيقول: " وأوجز ما يقال عن محب الدين الخطيب أنه كان أمة في واحد؛ لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية عرفت منه الظهير المؤيد والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه

---

[1] أحمد أمين، فيض الخاطر، ط1، 1940 / وأعيدت طباعته مرات عديدة منها طبعة مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر

[2] ابن حنبل ، سلسلة البحوث الإسلامية، محمد رجب البيومي، 1415هـ - 1994 م، ص59

جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقا "

فهذه الصور البيانية أضفت على تراجم بيومي من الوضوح والشغف بشخصيات تراجمه، وإثارة المتلقي، والتأثير في قلبه، ومشاعره مما كان له من حيوية ، صورة وكذلك تظهر خياله وهو يقول عنه: " ... وهيهات لمن كانت جذوة النضال تتوقد في أضلاع أن يستنيم إلى الراحة " حيث عبر عن مشاعر شخصيته وجعلها " جذوة نضال " كفاية عن عاطفته ونشاطه وشجاعته ، وكما يبدو من هذه الأمثلة التي صورها لنا الكاتب فنجد أن الصور الأدبية اعتمدت على الوصف أكثر من البيان وعلى الحس أكثر من العقل ، وعلى الواقعية الممزوجة بالتأليف الإبداعي ، كما اعتمد فيها الكاتب على ثقافته العميقة الواسعة .

ومن الخيال قوله في ترجمته لــ " نور الدين محمود ": "حين أردت أن اكتب عن نور الدين وجدت القلم يفرد بين أناملي تغريدا لا ينقطع، فقد هزتني أخلاقه العالية هزا آثار العاطفة ورنح الوجدان .... إن نور الدين يلتقي مع علي بن أبي طالب في أبرز صفاته وأخلص معاونه"[1] فقد جعل القلم يغرد وكأن هذا القلم قد تحول طائرا مغردا يشدو فيا لها من استعارة.

ثم يقول إن أخلاقه العالية هزته هزا آثار العاطفة ورنح الوجدان " وكأن وجدانه استسلم لهذا الجندي أو أنه ترنح من نشوة سكره الماتعة لما يري، وهي كناية عن تأثره وصدقه في عاطفته، فكان خياله هذا مبعث عذوبة ورقة أخذت بفؤاد القارئ وعقله.

والأسلوب هو غاية بذاتها؛ لأنه طريقة الأديب في التفكير والانفعال والتصوير والانفعال فيقصد به الجانب المادي في النص، والقالب الذي يحوي الأفكار والعواطف والخيالات.

وبصفة عامة فإن الأسلوب يحكم عليه بالوضوح ويحمد فيه؛ ذلك لأنه يقصد به الإفهام ابتداء ومما مر علينا من تراجم البيومي نجد أن أسلوبه في التراجم كان واضحًا بعيدًا عن التعقيد ، مما كان له عظيم الأثر في وضوح الدلالة والمعنى، كما أن وضوح الأفكار في تراجم الكاتب كان سبيلا لوضوح الأسلوب وقد تضافرت كلماته وألفاظه في جزالتها ورقتها حتي ساهمت في الشعور بعنصر المتعة والمتابعة لدي القارئ، فمثلا في ترجمته لــ " أحمد تيمور البحاثة الدؤوب " يقول: " إن رجلا متواضعا ينمو هذا النمو المثالي في منهجه ، الجدير بترداد مآثره ، وبخاصة إذا كانت حياته شذوذا غريبا بين أبناء طبقته فأكثر من نشئوا نشأته لم يكونوا

[1] صور من البطولات الإسلامية، محمد رجب بيومي، ص32 ، ج2 ، 1429هـ.

يفكرون في علم أو أدب أو جهاد بل عكفوا على لذائذ الفانية في النوادي المترفة والسهرات الصاخبة، إذ غشيت عقولهم طبقات من الجهل المتراكم، كما غشيت نفوسهم طبقات أخري من التبلد والجمود، فإذا شذ من هؤلاء المترفين راهب يسبح في دير العلم ، ويواصل الجهد الحافل في البحث والتنقيب مضحيا بأعز ما يملك من صحة ومال ووقت كان جديرا بإنصاف الباحثين"[1]

ويتضح لنا براعة التصوير حيث عرض فكرته بأسلوب شائق مانع ففي قوله وهو يشبه أحمد تيمور براهب ثم يأتي باستعارة فريدة " يسبح في دير العلم " فتراكيب الكاتب تتراوح بين الخبرية والإنشائية مما عكس الضوء على المعني فنراه وهو يحدثنا كذلك وهو يرد على ناقدي أحمد تيمور فمن يدعون عليه أنه (نقَّال) وليس بأديب فيعرض الأعمال تيمور موضحًا أنه قرأ مخطوطات ربما لم يقرأها أحد في عصره وكتب وحلل في موضوعات كانت جديدة كل الجدة مثل: كتابه التصوير عند العرب " وكتابه " أعلام المهندسين في الإسلام " وكتابه " الرتب والألقاب والنياشين " .

ثم يقول الكاتب: فماذا ينتظر الناقد من علامة موسوعي يقرأ في شتي علوم الثقافة الإسلامية؟! ثم يقول:" لقد كان تيمور نادرة في كل شيء في طبقته؛ لأنه كاد أن يكون الوحيد المتفرغ للبحث العلمي من أرباب الثروة والجاه ، ونادرة في اتجاهه؛ لأنه الباحث الذي طرق أبوابا مغلقة ، فأكمل الناقص وفتح الطريق ، ونادرة في تواضعه؛ لأنه العالم الذي ظلت كتبه فوق مكتبته مخطوطة دون نشر فلا غرابة إذا خصصناه بفصل تاريخي بين أعلام النهضة الإسلامية في العصر الحديث" [2]

وتراكيب الكاتب طالت أحيانا وذلك في مقام الوصف وقصرت أحياناً عندما جاشت به العاطفة فيقول في ترجمته لـ" عباس محمود العقاد ": " يحار الكاتب حين يدرس إسلاميات العقاد ... لم يعرف عن الأستاذ العقاد انحراف ديني في كل ما كتب على امتداد عمره البعيد بل كان قلمه بمنجاة مما تورط فيه بعض الكبار من زملائه "

ويقول: " لقد حال القلم الجبار جولاته الموفقة متحدثا عن الفلسفة والعلم والفن الجميل ".

---

[1] النهضة الاسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، ج2 ، ص 16.

[2] النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، ج2، ص 18

فنلاحظ قصد العبارات والتراكيب؛ وذلك لما حدث من عاطفة جياشة مستمرة يشعر بها القارئ متدفقة من بين مفردات الكلمات.
كما لا يفوتنا أن أساليب الكاتب خبرته كانت أو إنشائية قد حظيت بقدر كبير من الصدق الفني والتجربة الشعورية المخلصة تكاد تقول: إنها جمعت الصدق كلها لفظاً ومعني وعاطفة وخيالا وضح ذلك من انسياب معانيها وما حوته من موسيقي هادئة عميقة ولذة في وجدان القارئ.

فيقول في ترجمته للأستاذ" محمد فريد وجدي " قضي الأستاذ وجدي حياته الخصيبة مجاهداً بقلمه ، لم يترك حومة الكفاح يوما واحدا إذا كان يقف موقف الذائد عن القيم الاسلامية في عصر هبت فيه زعازع الشكوك من كل ناحية فلا يري إلا متهجما ينتقض عن جهل أو ضغن، ولابد من حزم عاجل في ادحاض الباطل، لذلك كان امتشاق القلم رسالة وجدي التي وقف عليها حياته دون سأم أو كلال"[1]

" ويقول في ترجمته لمحمود الغزنوي: " كلما قرأت تاريخ البطل الفذ محمود الغزنوي عجبت كيف لا يجري اسمه على كل لسان يدين بالإسلام؟ وكيف لا تقرأ الكتب الخاصة بتحليل خوارقه، وتفسير نوادره؟ ...لقد كان الزمن الذي تألق في سمائه كوكب محمود الغزنوي لا يسمح بظهور مثله محال.[2]

" ومن هذا العرض نتبين أن أسلوب الكاتب قد توفر له الوضوح لفظاً، ومعني كما توفر له القوة التي كان لها عميق الأثر في القارئ، وتوفر له كذلك العذوبة، والجمال مما جعل لها من الإمتاع تاجاً براقاً.
كما بدت الموسيقي الداخلية مترنمة بألفاظها ومعانيها مترقية بمشاعر، وعواطف القارئ نحو النمو الأخلاقي في جزالة مع رقة تحددها عاطفة جياشة صادقة جعلت لأسلوب الكاتب متانة ودقة، وإيحاء وروعة وعبارات غنية معبرة.

3. اللغة النثرية في تراجم البيومي

هي جزء من الأسلوب كما أسلفنا، ولكنها لغة العقل، والمنطق، والأفكار، والدراسات، فهي نابعة من فكر الكاتب وآراءه، وقد ظهرت اللغة النثرية عند كاتبنا في ثوب عصري بديع فكانت عباراته وتراكيبه مألوفة مستمدة من بيئته، بعيدة عن التعقيد بأنواعه، سلسلة متتابعة فوارة كأنما هي وجه الماء انساب عليه نسمات رقراقه تحت ظل وارف

اعتمد كاتبنا في تراجمه على السرد والإنشائية أحياناً، والخبرية أحايين كثيرة، وقد عمل بيومي على أن تكون تراجمه معبرة عن الواقع

---

[1] السابق، ط 1، ص 98.
[2] صور من البطولات الإسلامية ، ص 4 ، ج 2 ، د. محمد رجب البيومي .

بعيدة عن الخيال العميق مما صبغ تراجمه بالدقة والجدة كما خلت من التعميم المبهم للصورة أو المعني ظهر ذلك من خلال توازن العبارات والتراكيب، فمفردات الكاتب كانت جزلة فخمة فعبرت عن المعاني في قوة ومكانه ، كما كانت عذبة وسلسلة وقد تواءمت عباراته بين المباشرة والإيحاء، فكثير من عباراته كانت مباشرة في تأدية المعنى، وكان منها ما يعطي للقارئ إيحاءً بمعان أخري كثيرة، وذلك عندما نلمح عاطفة الكاتب وقد انهمرت علينا بفيوضها وعمتنا برحابتها، كما كان للغة الكاتب من الوضوح في تأدية المعني القدر الكبير، وقد طالت عبارات الكاتب في تراجمه وذلك لمناسبة الحديث لأننا في سياق تحليل مواقف، وشخصيات فمن المناسب طول العبارات للشرح والتحليل، فإذا رفق بنا الكاتب ومال علينا بجزء من عاطفته الجياشة لاحظنا قصر عباراته المعبرة عن عاطفته الصادقة . كما قلنا فقد بدت لغة الكاتب متوازنة فعكست على مسامع القارئ أثراً موسيقيا متناغماً وذلك من حسن تعانق الألفاظ مع المعاني في لغة نثرية بديعية.

لعل من أسباب بقاء واشتهار تراجم الكاتب وجود الروح، والحيوية المتمثلة في الحركة الوصفية في فضاء العرض السردي للكاتب، ففي ترجمته لـ(محمد اقبال) يقول:" لقد كان إقبال بطلاً لا نظير له حين نادي أول مرة بضرورة قيام دولة إسلامية منفصلة لها مثلها الثابتة ودستورها الخاص، ثم سلط أسلحة براهينه وحججه حتى استطاع أن يجعل الحلم المتخيل حقيقة ماثلة!! وأن يقود المشاعر المتطلعة الحالمة إلي يقين ثابت المعتقد، وهدف واضح المعالم فإذا لباكستان" بعد أعوام تنهض على قدميها حصنا من حصون الإسلام وأمة عزيزة غالية تجلجل مآذنها بالآذان وتدوي مساجدها بالصلوات والدعوات ... لن ندرك عظمة إقبال وسمو هدفه ومرير كفاحه إلا حين نعلم حقيقية عصره ومأساة الإسلام الدامية في إبان كعاص لنري أي رجل هيأته الأقدار ليصد الهجوم الآثم ويرسم الطريق السوي ثم ليقود السفينة المتأرجحة فوق عباب البغي والعدوان وبين عواطف التبشير والاحتلال، حتي تصل إلى الممر فأبعد عناء مرير قريرة العين حميدة السري، حسنة المآل".[1]

كما نلحظ من هذا المثال الذي عكس لنا بوضوح قوة اللغة النثرية لأديبنا، وما توافر لها من أسباب الوضوح والبيان، ولنا أن نقف مع مثال آخر، ففي ترجمة د. بيومي لعمر المختار يقول: " يخطئ من يظن أن الجذوة الملتهبة التي أوقدها الإسلام في صدور أبنائه قد خمدت على

[1]() النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، ج1 ط الأولي ص 147 ، 148 .

تناسل الأحقاب ومرور السنين، فمهما تألب الباطل على الحق بجيوش وعدد فلن يستطيع أن يقوض العزة الإسلامية المنيعة التي يعتصم بها أبناء الإسلام والتي يذكي القرآن الكريم أوراها في القلوب فتدفع بأصحابها إلي التضحية والاستشهاد ويسجل أصحابها الأبرار للعالم المتربص أن المسلمين خير أمة أخرجت للناس... والذين يذيعون الإفك عن الإسلام، وأبنائه المستبسلين تنقبض صدورهم غيظا وألما حين تقدم إليهم شخصية فذة متوثبة كشخصية الشهيد عمر المختار ... أجل تنقبض صدور أعداء الإسلام غيظاً حين نقدم لهم بطلا فدائياً سرت دماء العروبة في عروقه ورفرفت روح الإسلام بين جوانحه فرفعته إلى أفق زاهر تتألق فيه البطولة والكرامة والفداء.

وإنك لتتصوره في ملابسه الفضفاضة الواسعة ولحيته البيضاء الناصعة وكهولته الفانية الشامخة وقد حمل السيف في كفه واعتلي جواده، يتقد حصونه المنيعة في قلعة" الجبل الأخضر" يستشف خطط عدوه المسلح المتحفز ثم يمضي بكنيته القليلة ليهاجم الدبابات الزاحفة والقنابل الصاعقة والموت العاصف في بسالة خارقة وإيمان معجز".[1]

فتبدو قوة عباراته ومتانتها مع سلاستها وعذوبتها. كما يظهر من خلال تراكيبه، وألفاظه مباشرتها حيث أدت معناها دون أثر آخر، كذلك يبدو في كثير منها الإيحاء الذي نلمح منه عاطفة الأديب، كما أنها لغة مألوفة عصرية بعيد عما يستهجن مما كان لها من عمق الأثر في حس القارئ، بل نقل الشعور والأثر النفسي والعاطفة من الكاتب إلى القارئ بالقوة نفسها، والفخامة.

4. السمات العامة للعرض الأدبي في فن التراجم عند محمد رجب البيومي

(1) دعم مقالاته بالحجج، والبراهين، وحرارة الوجدان، وصدق العاطفة، وبساطة التراكيب، وسهولة الألفاظ للدلالة على ترجيح وجهة نظره، بعد المناقشة والمحاورة.

(2) المزاوجة فى بعض الأحايين بين الأسلوب الأدبي، والعلمي حتى يلفت النظر، وانتباه القارئ ويحمله على الاستطلاع والمتابعة فى شغف ولهفة.

(3) تنوع المقالات بين الموضوعية والذاتية، وإن كان الاتجاه الموضوعي فيها أكثر من الذاتي، مع الإقرار بأن الموضوعية لا تخرج إلا من ذاتية الكاتب.

[1] () صورة من البطولات الإسلامية، محمد رجب البيومي ، ج2 ، ص188،189.

(4) حسن التخلص من المقدمة إلى الموضوع إلى الخاتمة، بحيث يصعب الفصل بينهم أو تحديد أحدهم.
(5) الاهتمام بإبراز صدق إيمانه بما يكتب، وحرارة عاطفته لموضوعه، وخفة روحه فى عرضه، وكذلك تمتعه بالذوق اللغوي الممتاز فى إلباس المعاني الألفاظ المناسبة، ووضع الألفاظ فى أماكنها الملائمة، وسوق الجمل فى إيقاع يبعث فى القارئ الإحساس بالمتعة، كما وضح لديه روح الملاحظة الذكية التى ترصد ما حولها، ثم تختار ما تراه جديراً بالتعبير عنه من مظاهر الحياة، وشؤون الكون، ومن تجارب الأخرين على حد سواء.
(6) اعتماده على عذوبة الكلمة، وإشراق الألفاظ، وسلاسة العبارة، ونصاعة البيان، فخرجت الفكرة قريبة من الأفهام متميزة بالبساطة، والوضوح.
(7) اهتمامه أحياناً بطرافة الأفكار؛ ليضفي على الموضوع جمالاً براقاً، وروعة أخاذة، ولا ريب فى أن الاهتمام بالكتابة – بصفة عامة – يسبقه انصهار الفكرة فى بوتقة الكاتب الخاصة.
(8) مزج المسائل الدقيقة، والأحكام الأكثر جموداً بالروح الأدبية الجميلة الرقراقة، فيختلط الجميل بالحقيقي والحقيقي بالجميل.

الخاتمة

ختاما، كانت هذه ورقة موجزة حول علم التراجم، تناولت هذا العلم حدًّا ونشأة وفائدة، كما سلطت الضوء على بعض القضايا المهمة من قبيل أنوع التراجم وطرق الترجمة ومصادرها، بغية تنوير القارئ، وإحاطته بالحد الأدنى من المعرفة بخصوص هذا العلم، وإيصال خلاصته المركزية المتمثلة في أن علم التراجم يعكس مدى اهتمام المسلمين بمن نبغ منهم، متسمين في ذلك بالعمق والحياد، مستثمرين ثمرات مجهوداتهم في استنبات أجيال لاحقة تسير على نهج سلفها. وقد تناولنا منهج الدكتور محمد رجب البيومي في تناول التراجم الأدبية التي حاول من خلالها إحياء شخصياتها حياةً جديدة قصد منها أهم ما قدمته شخصياته للبشرية من نفع، وعلم.

المصادر والمراجع

1- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم/دمشق، الدار الشامية/ بيروت، ط1، 1995م، جزءان.
2- صور من البطولات الإسلامية، محمد رجب البيومي، ج2،ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع 2009

3- دراسات أدبية، محمد رجب البيومي، دار السعادة – القاهرة، 1982م.
4- مشاهد من الحركة العلمية فى حرم المسجد. محمد رجب البيومي. مجمع البحوث الإسلامية.
5- مواقف خالدة لعلماء الإسلام. دار الهلال، القاهرة
6- ابن حنبل.
7- صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي، محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1988م.
8- من شرفات التاريخ، محمد رجب البيومي، المؤسسة العربية الحديثة. ط1، 200م، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
9- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي. تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1997. الجزء الأول، ص 5.
10- إبراهيم بن حماد الريس، علم التراجم أهميته وفائدته. دراسة منشورة بموقع رياض العلم الإلكتروني: www.riyadhalelm.com
11- محمد عدنان كاتبي، علم التراجم ومكانته في حياتنا. دراسة منشورة بالموقع الإلكتروني: https://islamsyria.com
12- مجلة منبر الاسلام العدد3، ربيع الأول 1425، مايو 2004، مقال بعنوان " مجزأة بن ثور السدوسي
13- أحمد أمين، فيض الخاطر، ط1، 1940 / وأعيدت طباعته مرات عديدة منها طبعة مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر.
14- ابن حنبل ، سلسلة البحوث الإسلامية، عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر محمد رجب البيومي، 1415هـ - 1994 م.